عدن.. التاريخ والحضارة

تفاصيل عن مدينة السلام (عدن) في عهد الإنجليز

«الأمناء» كتب/ أحمد مليكان:

عدن مدينة السلام، كانت وستبقى مدينة السلام، وبتآخي كل الأجناس التي سكنتها، العرب والمسلمون والإنجليز والهندوس والبهرة والفرس، وعدن فيها المساجد والكنيسة المسيحية والكنيسة اليهودية ومعبد الهندوس ومعبد الفرس ومسجد البهرة.. وبعون الله ستظل عدن منارة حضارية وثقافية وفنية أمام كل التحديات والمخاطر.

عدن هي التاريخ

ذكر لفظ «عدن» في أكثر من آية قرآنية (جنات عدن) ومعناها في التفسير الإقامة، وأقام فيها قابيل بن آدم بعد مقتل أخيه هابيل في مغارة العقبة، وقيل إن هضبة عدن كانت مروجا خضراء في العصر الجليدي وكانت في جبال الطويلة تنزل شلالات الماء إلى البحر.

وعند قدوم التتابعة حفروا خزانات الصهاريج لحفظ الماء لمن يسكن في عدن وللسفن القادمة من الشرق والغرب، وبنوا مرفأ عدن في حقات وتحولت عدن إلى سوق بعد شق باب العقبة ودخول القوافل إلى المناطق الداخلية لعرض منتجاتهم للسفن وسكان عدن، وعلم الإمبراطور الروماني «بتولي مستكو» أن عدن مرفأ منافسا قويا لمرفأ القسطنطنية الروماني، فأرسل القائد «اغار سياسي» الذي أطلعه على أهمية عدن من الناحية العسكرية والبحرية والتجارية وأرسل حملة باحتلالها وجعلها مخزنا للفحم. وبعد سنين احتلها الفرس مع حملة ذي يزن لمقاتلة الأحباش وخروجهم من عدن، وقام الفرس ببناء قنطرة خور مكسر الجديد وجسر تعبر منه القوافل إلى عدن، وتوسع سوقها التجاري الذي أصبح يستقبل السفن التجارية الكبيرة من كل مكان حتى صارت أكبر أسواق العرب.

وفي عهد بني رسول والزريعيين الذين بنوا أسوار عدن فوق الجبال لحمايتها وبنيت قلعة صيرة وتوسعت المدينة ووضع لها الشيخ عبدالله بن يوسف السليماني النظم في المعاملات التجارية وازدهرت المدينة وبُنيت فيها القصور الكبيرة مثل دار الحجر ودار الفرضه وتوسعت أسواقها ومنها سوق البز وسوق العطارة وسوق الخزف والفخار، والذي جدد أسوارها وقلاعها (صيرة) هو الشيخ عثمان الزنجيلي الذي حكمها وجدد فيها أبوابها الستة باب العقبه وحومه والسيله والفرصه وحقات والسر، وجدد حفر الصهاريج، واشتهرت عدن بالعديد من الصناعات مثل صناعة البخور وصناعة العطور والطيب العدني وصناعة الزجاج والخزف والفخار، وبنيت فيها المساجد الكثيرة والكبيرة مثل مسجد أبان، والمدارس مثل مدرسة السفيانية، وأشاد بأهل عدن الرحالة ابن بطوطة الذي زارها وقال في أهلها: «هم أهل دين وكرم وتواضع وصلاح ومكانة وأخلاق ويحبون ويرحبون بالغريب ويساعدون الفقير والمساكين ويعطونه حق الزكاة».

عدن في عهد الإنجليز

أرسلت حكومة الهند الكابتن (هينس) في رحلة استكشافية عام 1835م إلى عدن للاطلاع على مواقعها الجغرافية والتجارية بعد إشاعة أن نابليون عازم على احتلال عدن، وبعد الزيارة رفع الكابتن (هينس) تقريره يقول فيه (عدن البركان هذا المرفأ العظيم يمتلك من القدرات والإمكانات ما لا يمتلكه أي ميناء آخر في العالم وإن ازدهاره سيكون له شأن كبير فهو يحتل مركزا تجاريا ممتازا). وبهذا التقرير عزمت بريطانيا على احتلال عدن وأرسلت الكابتن (هينس) على رأس حملة بحجة تأديب من قام بنهب السفينة (داريا دولت) وتم احتلال عدن في عام 1839م، وتحويلها إلى قاعدة عسكرية تشرف على أهم ممر مائي في (باب المندب)، وعند تولي الكولونيل (ميروندر) نقل الميناء من صيرة إلى التواهي، حيث سكرتارية القاعدة العسكرية والإدارة البريطانية، وقام بتوزيع الثكنات العسكرية حول عدن وشيد فنار المعاشيق للإرشاد وتولت القيادة العسكرية والإدارة البريطانية بالإشراف العسكري والسياسي لعدن بينما تولت حكومة الهند الإشراف الإداري والمالي مما زاد توافد الهنود تجارا وكوادر إدارية وعمالا حتى أخذت المدينة الكثير من الأنماط والطابع الهندي مما أثار غضب واستياء أهل عدن الذين طالبوا بفك الارتباط مع الهند وأصدرت الحكومة البريطانية قانونا يمنح أهل عدن بعضا من الحكم الذاتي سنة 1937م من خلال قيام المجلس التشريعي وحكومة محلية يتولى أمرها أبناء عدن، وتوسع النشاط التجاري والتعليمي والثقافي والصحي والمهني وبنيت مدن جديدة على النمط الإنجليزي مثل خور مكسر والمعلا والتواهي وكريتر والبريقة، ودخل في عدن التلغراف والسكة الحديدية والبريد والكهرباء والماء وزاد عدد الشركات والبنوك والبيوت التجارية وأصبح ميناء عدن ثاني ميناء في العالم بعد ميناء نيويورك، وتوسعت النشاطات النقابية والسياسية وتكونت أحزاب تجاوزت الثلاثين حزبا والصحف الأهلية والأندية الرياضية والثقافية والأدبية والجمعيات وارتقى الوعي السياسي حد المطالبة بالاستقلال لعدن.

من هم الذين زاروا عدن؟

زار عدن في تلك الحقبة الزمنية كثير من القادة والشخصيات المشهورة، منهم: الملكة اليزابيث ملكة بريطانيا في الخمسينيات، والفنان فريد الأطرش، والفنان المصري شفيق جلال وغنى أغنية (جنة عدن)، والشيخ زايد بن سلطان في السبعينيات، وآخرون...